محكم

في جرأة الفلسفة وعن سخرية الفيلسوف:

عبد الرحمن بدوي وحيوية السيرة الفلسفية

محمد صلاح بوشتلّة

باحث مغربي

قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

جميع الحقوق محفوظة © 2015

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved © 2015

Mominoun Without Borders

ملخّص البحث:

غالبًا ما (يخفي الفيلسوف شخصيّة غريبة ويستبطنها) خلف سعيه الدؤوب نحو إقامة صرح الحكمة، فلا يسمح لأحد بالبحث في أبعاد تلك الشخصية، بل ويحاول قدر ما تسعفه لغته وأعماله أن يدسها وراء ما يكتب، وبين سطور ما يخطه، فيطمس معالمها، ويتخفى غالبًا خلف نصوصه التي يقذف بها بشكل متتال إلينا، ليبقى سراً غنوصيًّا أمامنا محتميًا وراء الأبطال الذين صنعهم إلهامه المخاتل في سياقات نسق حكمته المنشودة. مستثمرًا أسماء وشخوصاً ما، لنعتقد نحن قراؤه المهتمون به، والمغرمون بمقارباته وأساليب تحاليله المتحايلة، ونجزم في قرارة أنفسنا أنّه في حقيقته هو مجرد كائن وهمي هلامي لا جدوى من الإمساك به، بل ولا فائدة مرجوة أصلاً من اللحاق به والكشف عن شخصه غير المفصح به لنا، ولا حتى القبض عليه. ليترسخ لدينا الاكتفاء بنصوصه ولا شيء غيرها، نتوقف عند ما تطرحه من أفكار تبعدنا عنه، وتقربنا من نصه، بدعوى أنّ النص هو الحقيقة التي تمثل شخصه، وتقترب منه، غير أنّه انطباع مضنٍ، لا نصمد أمامه، ولا نود أن نصدقه ككل مرة، سعيًا منا للبحث عن الفوارق التي تطبع حقيقة شخصية الفيلسوف الحقيقية، والتي نكشف بها لنا عن سيمياء الأهواء لديه، وعن انتحالات النفس وإحالاتها وإيحاءاتها، وتعلن لنا عن نزواته ونزوعاته العدائية "البسيكوباتية"، ولمَ لا المتطرفة التي تحكمه من غضب جنوني من الآخرين، وكآبة مخيفة منهم تخفي كآبة من نفسه ذاتها، المعبِرَيْنِ عن هوسٍ ما يسكنه ويتساكن معه، بشكل قد يفقده اتزانه واعتداله الحِكْمي في لحظات مهمة من حياته ومواقفه وموافقاته التي تدل في بعضها على اعتلال سيكولوجياه.

شخصية بدوي تشكل ذاك الوجه الغمس والخبيء عن تدقيقاتنا في تعاملنا المباشر مع هذا الرجل المُؤَسسة، إذ أنّه طوال حياته كان يرمي لنا بنصوصه نصًّا تلو الآخر دون أن يترك لنا الفرصة لنهتم بالجانب الآخر منه، وهو جانب شخصه، وحياته الشخصية في مقابل جانبه الذي نعرفه جيدًا، وخبرناه جيدًا وهو الذي تمثله أعماله وتجاربه الفكرية، لتتهرمس سيرته أكثر على صفحات نصوصه، ولينفلت هو من بين أيدينا أكثر فأكثر، فالرجل فُرض عليه أو فَرَضَ على نفسه أن يعيش وحيدًا ومنفيًّا في عالمه، لا تستهويه غير روحه المتعالية وأبحاثه المتوثبة نحو غزو أراض بالغة الجِدة، في نرجسية واستعلاء منه غير مفهومين، جعلا منه شخصًا متعسر الفهم على الآخرين، ونفسية متوثِّبة تخفي أخرى متوترة ومتبرمة من كل ما يحيط بها، تعيش انعزالها وتَوَحُدها عن عالمها المحيط بها، في عزلة نفسية جعلته يمجد ذاته قبل موته دون أن ينتظر من يخلد اسمه ويحتفي بذكراه ممن سيأتي بعده، فأرخ لنفسه مع فلاسفة العرب القدامى في موسوعته الفلسفية ضمن مادة "بدوي"، في أبهى تعبير عن هذا الجانب النفسي المُتأبي والمتكبر على الاعتراف بالأقران أو انتظار يد التكرم من أحد، وفي تعبير عن غربة المواقف وعجائبية أطوار صاحبها، غرابة المواقف وعجائبية الأطوار هذه هي

موضوع هذا البحث الذي يحاول رصد جوانب من شخصية بدوي النفسية التوحدية، والحادة المزاج، والمتقلبة الطبع من خلال سيرته وسياقات تآليفه، بالكشف من خلالها عن درجة الاحتقان لديه من عالمه ومن أطر (ومشروطيات) هذا العالم الذي ينتمي إليه ويحاول أن يعلن الاكتفاء بنفسه دونه، والانكفاء بها عنه، وذلك في استقامة عقل حر ومندفع نحو غاياته القصوى، ولكن بتشنجات نفسية في الطريق، في مثال للعبقرية وهي تمتزج بالهوس والهواجس ممن يحيطون بنا.

هيكل البحث:

ـ على سبيل الوضوح المنهجي

1- تمجيد الذات ولا شيء غيرها

2- موقف بدوي من معلّميه

3- موقفه من المفكرين العرب، ومن زملاء الجامعة

4- بدوي منتقدًا أساطين الفكر العربي

5- موقفه من فلاسفة عصره

6- موقفه السياسي من أحزاب ما قبل الثورة

7ـ موقفه المتحيّز إلى النازية

8ـ موقفه من جمال عبد الناصر

ـ على سبيل الختم

ـ مصادر ومراجع البحث

على سبيل الوضوح المنهجي:

بوفاة عبد الرحمان بدوي فُتِحَ البابُ مشرعاً ليوم أَحَدٍ طويلٍ من أيام اهتمامنا بتراثنا الفلسفي، فاسمه كان مقرونًا بعناوين مصادر عربية كثيرة من حقل التصوف، وعلم الكلام، والفلسفة بالطبع، المشائية منها والأفلوطينية مقتفيًا أثر أهم المؤلفات التي وسمت تاريخ الفلسفة والفكر في الحضارة العربية الإسلامية، وبما أنّه الرجل المُؤسسة فقد انتشل من ظلمة دهاليز المكتبات وأقبيتها، في شرق الدنيا وغربها، وبجهده الخاص كثيرًا من النصوص المؤسِّسَة، بتحقيقاته وتنقيباته المعبرة عن عمله الجاد جدًّا، والمتعِبِ كثيرًا، فحياته التي دامت سنين لم تكن لأحد بل للفكر فقط، كانت مقرونة بالبحث عن مخطوطات التراث في الأماكن الخبيئة، ومقرونة بتوجهات فكرية تنازعت اسمه، وصنعت وسمه ومكانته في جغرافيا الفكر العربي المعاصر، كانت موزعة بحسب قائمة برنامجه العلمي الضخم، الذي يقول عنه عبد السلام بنعبد العالي إنّه يكاد يكون هو نفسه برنامج الثقافة العربية المعاصرة، في سعيها نحو استخلاص الدروس من الفكر الأوربي، وفي محاولاتها القيام بدراسات حوله وترجمة روائعه، وبالمقابل اهتمامها بتراثها، وتقصي أصوله والوقوف عند منابعه[1]، وتأليف كتب مبتكرة من صميم الإبداع الفلسفي وفق خطة تقسم أعماله إلى مؤلفات مبتكرة يعبر فيها عن مذهبه، ومؤلفات يعرض فيها الفكر الأوروبي على القارئ العربي، ومؤلفات تسهم في تعميق فهم الفلسفة الإسلامية[2]، فقد استطاع حسه الفلسفي المتوقد والمتفتح والصافي أن ينفتح على أصول التراث العربي واليوناني، وعلى آفاق الفلسفات والآداب الغربية، مع شغفه الذي لا ينتهي بالتجديد والانفتاح الذي قاده إلى تأليف رائعته "الزمان الوجودي" بعد عامين فقط من صدور كتاب سارتر "الوجود والعدم"، دون أن تنهاه نزوعاته المشرئبة نحو الفلسفة المعاصرة عن أن يحقق أشدّ مصادر التراث صعوبةً وانغماسًا في تاريخنا الفلسفي، من نصوص أفلوطين وهرمس المفقودة، إلى "شطحات أبي يزيد البسطامي" الموزعة نتفها المخرومة على مكتبات العالم، ومن ترجمته لـ "دون كيخوطي" سيرفانتس، إلى "الصوص" شيلر، مرورًا بـ"فاوست" جوته و"ديوانه الشرقي للمؤلف الغربي" و"الأم الشجاعة وأولادها" لبريشت، وذلك كله ضمن لائحة من الأعمال تؤكد أنّ الرجل وهب نفسه وكرس عمره لإعادة إعمار المكتبة العربية، غير آبه بأن يؤسس لنفسه أسرة صغيرة يقتسم معها اهتماماته، لأنّ الزواج وتأسيس أسرة في ظنه ربما قد ينتج عنه أبناء وفلذات كبدٍ يقفون في وجه سفرياته وأعماله ومشاريعه الكثيرة، ويقتسمون حبه للقدماء من حضارتنا وللأباعد من فلاسفة الغرب البعيد الذي حول جاهدًا جعله قريبًا، ليفضل بذلك الوحدة والانزواء عن مخالطة الناس لآخر رمق ويوم في حياته الحافلة، حيث

[1]- عبد السلام بنعبد العالي، لعقلانية ساخرة، دار توبقال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 35

[2]- ينظر عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2000، ج 1، ص 150

سيسقط مغمًى عليه في أحد شوارع باريس دون أن يعرفه أحد، وهو يعاني درجات متقدمة من الإحباط والوحدة كما أكد طبيبه الفرنسي، فقد كان يعمل بحماسة وجدية طفل خورخي لويس بورخيس الذي يلعب.

لقد كان بدوي دائم الاحتضان لهمّ التراث، ولِهمّ تقريب فكر الآخر إلينا، ورفع قلق العلاقة معه، دون أن يسأم تكاليف ذلك بتحمل عناء الترجمة من الفرنسية والألمانية والإسبانية والإنجليزية واللاتينية، ليكون "الشاهد المطلق" الذي تحدث عنه جاك دريدا عند شهادته التأبينية في وفاة ج. ه. غدامير عن الأخير، أو الراهب المهيب الذي يدير مكتبة الدير. كان عبد الرحمن بدوي يمثل ظاهرة نادرة وشديدة الغرابة بموسوعيته وشموليته المتطرفة العمق في اطلاعاته المتوسعة والممتدة على مساحات ومشارب ثقافية متعددة ومختلفة حد التنافر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عمقه الثقافي المزاوج بين ثقافة الذين كانوا ولم يعد لهم أثر بيننا، وفلسفة عصره ممن هم حاضرون في زمنه، وبين لغته ولغات شتى، ليتأكد لنا أنّ سيرته لن تكون إلا ظاهرة ونادرة فكرية هي الأخرى، لن يسعها كتاب واحد بالطبع، بل إنّما هما مجلدان ضخمان صدرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ببيروت، قبل سنتين من وفاته، الجزء الأول، من 382 صفحة، والجزء الثاني من 383 صفحة، حيث سيؤكد فيهما خلاصات معاشرته الطويلة للفكر وأهله، وسيثبت فيهما قناعاته الفكرية والسياسية، ومشاعره ومواقفه التي سيأتي على ذكرها دونما رهبة ولا نفاق ولا خوف من أحد مكررًا في لحظات منها تجربة الصراحة والصدق نفسها التي عبّر عنها ج. ج. روسو في كتابه "الاعترافات".

إنّ مما لا يعرفه الكثيرون عن حياة بدوي الذي كان الجندي غير المجهول المتمرس في خنادق جبهات التحقيق والترجمة والتأليف، وغير العابئ لا بملبسه ولا بسيارة تسهل عليه حركة تنقله، في تكرار لسيرة أبي نصر ورصانته، ذاك الذي لم يكن معنيًّا بهيئة ولا منزل ولا مكسب[3]، ولسيرة الفيلسوف عند الرازي الذي "لا يلبس فاخر الثياب، ولا يبني، ولا يقتني، ولا ينسل، ولا يأكل لحمًا، ولا يشرب خمرًا، ولا يشهد لهوًا"[4]، هو أنّ حياته الغنية فكريًّا كانت مليئة بغير ما هو فكري وفلسفي صرف وخالص، ففصول سيرته الذاتية التي تتعدى الجزأين والموشاة بذكريات الحياة وبمسيرة أكاديمية متميزة تلقى فيها تكوينًا فلسفيًّا مبهرًا في الجامعة المصرية على يد شيوخ الفكر والفلسفة، كألكسندر كوايري، وأندريه لالاند، اللذين تناوبا على الإشراف على رسالته للماجستير في الجامعة المصرية، إلى جانب دراسته على يد إميل برييه، وطه حسين، ومصطفى عبد الرزاق. مسيرة متميزة، وخطرة كذلك تؤكد أنّ حياته كانت دومًا في خصام وشجار وصراع مرير مع أطراف متعددين في قريته ومدرسته وفي تجربته السياسية والأكاديمية، لمَ لا وهو نفسه كما يحكي في أول أسطر من سيرته أنّ

[3]- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965، ص 604

[4]- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، رسائل فلسفية، تحقيق بول كراوس، بيروت، 1936، ص99

علة وجوده الأولى بالتعبير الأرسطي، كانت هي نجاة والده من شجار وخصام ثأري، إذ لو لم تتطاير ورقة وتسقط على الأرض، فينحني والده لالتقاطها لكان قد ودع الحياة في ذلك اليوم ومعه ودعنا عبد الرحمن بدوي الذي لم يولد بعد، والذي سينسل من بين فرث ودم والده، فقد استأجر أحد خصومه قاتلاً، فأطلق عليه رصاصات بندقيته، لكن انحناءه لأخذ الورقة قبل رمي الرصاص، جعل القاتل يظن أنّه أصابه، ليأتي فيلسوفنا بالصدفة إلى هذا العالم وليكون الخامس عشر بين واحد وعشرين أخًا. ولتتوالى رصاصاته تجاه خصومه، وتنمو حياة فيلسوفنا المليئة بالصراعات والمماحكات مع ممثلي الفكر والثقافة، كما مع ممثلي النظام السياسي المصري والعربي أيضًا، ومع زملائه في البحث والجامعة، فلم يكن بذاك الإنسان الرقيق واللطيف المعد والمهيّأ ليكون عابرًا لا أكثر، بل كان مُعداً ليكون مثالاً عن الفيلسوف الديناميت الذي حدثنا عنه نيتشه[5]، وليكون بالتالي مثالاً للتبرم من كل شيء، تبرمٌ لم يسلم منه حتى فلاحو قريته الذين يقول عنهم: "وكان التعامل مع الفلاحين مزيجًا من الألفة بحكم المعاشرة ومن الاحتياط والريبة بسبب مكرهم ودهائهم، إنّ الفلاح المصري - وربما كل فلاح في العالم - مزاج من طيب النفس والخبث (...)، ومن البساطة والتواء الحيلة"[6]، ولن يسلم منه أحد بعدهم معبرًا بهذا عن حالة نفسية كان يعيشها قد تكون هي التي عبر عنها في "هموم الشباب" وعلى لسان بطل روايته: "وفي وسط هذا التوتر العنيف كنت أحيا وأنعم بالوجود (...) كانت حالة القلق هي الحالة العاطفية السائدة عندي في مجرى حياتي الباطنة كلها"[7]، هذا القلق الذي يخفي عذابات روح لا تهدأ ولا تستريح إلاّ بنقدها المستمر وتقريعها الحاد، ومعاركها اللغوية الأكثر تعنيفًا والتي تزيد أُوار هذا التوتر والقلق الذي عاش بدوي داخله حدّ الألفة والأُلاّف.

1- تمجيد الذات ولا شيء غيرها:

تكثيف استشعار الأنا، والإحساس المفرط بالذات الذي يصاحبه بشكل مباشر التقليل من الآخر القريب حد الازدراء به والبخل حتى بذكر اسمه، والاستشهاد به، حتى ولو كانت له سابقة في مجاله، إلا عند ذكره بسوء أو الإتيان على ذكره على سبيل الانتقاد ونقض ما ذهب إليه، فلا يرى شيئًا بالمطلق غير نفسه الأمَّارة بالترفع عمن سواه ممن يَعُدُّهم دونه، فكل اسم هو عنده متصاغر لا يستحق أن يرمقه بطرف نظره، في تمثل يكاد يكون مرضيًّا بجسامة مهمته وحقارة معاصريه، وكأنّه الكاهن أو القِس الذي تهرع إليه قبيلة أهل الفكر ليَشهد لهم بقيمتهم، ويصادق على منزلة كل واحد منهم التي يستحق.

[5]- فريدريك نيتشه، هذا هو الإنسان، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، الطبعة الثانية، 2006، ص 153

[6]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 23

[7]- بدوي، هموم الشباب، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت 1977، ص 140

من هذا الإحساس المنتشي بنفسه إذن كانت تصدر بعض كتابات بدوي في تعاملها مع المحيطين به في جزر الفكر وإمارات الثقافة، فالكثير من أهرامات الثقافة والفكر لا تستحق عنده غير اللامبالاة وعدم الاكتراث، ففي الوقت الذي نجده في كتابه "موسوعة الفلسفة" في الجزء الأول يترجم لكبار فلاسفة الإسلام كابن الصائغ والشيخ الرئيس وأبي سليمان المنطقي وابن طفيل نجده لا يجد حرجًا مطلقًا في أن يضع ترجمة لنفسه مع هؤلاء الفطاحل، لا باعتبارها فجوة أو فرصة من لدنه، بل باعتبارها مكانةً يستحقها دون غيره من معاصريه الذين قد لا يستحقون أن يترجم لأحد منهم باستثناء شيخه مصطفى عبد الرازق الذي سانده وآزره في وجه هجمات أحمد أمين الإدارية ضده، والتي سببها له كما يشهد بدوي على نفسه تفوقه وعبقريته التي ليست بتاتًا منتهى المبالغة منه في حق نفسه، وإنّما في الحقيقة هي حقيقة أمره التي لأجلها يكرهه جَمْعٌ من مفكري عصره العاجزين عن اللحاق به.

وفي الوقت نفسه كان يَكبُر عنده شعور متعاظم بالضجر من معاصريه إذ لا يجدون فرصة لهم بين المترجَم لهم في الجزء الثاني من موسوعته، وذلك منه اتساقًا مع نفسه الجريئة والقاسية عليهم والتي ستعتبرهم فيما بعد نموذجاً للفشل الذريع، ومثالاً قويًّا للخيبة في التفكير وفي أسلوب الكتابة، فالعقاد نموذج لرطانة اللغة، ومثال العمالة مع الاستعمار، ومحمد عبده عنده هو رجل مخيّب للآمال ولا مجال للحديث عن دور إصلاحي في فكره، ومحمد أركون لا يعدو أن يكون إلاّ عدوًّا للإسلام والدين، لذا فكتبه الغنية الروافد والمصادر لا تعتمد على واحد من معاصريه من العرب، وكأنّ أي واحد منهم لم يكتب جديدًا في موضوع من مواضيع دراساته، أو كأنّه هو الفاتح الجديد أو المستكشف المغوار الذي تتلوه جحافل الباحثين، فيتعامل مع أصحاب المصادر القديمة أنفسهم يدًا بيد ونِداً لند، خاصة إن تعلق الأمر بتنقيباته في التراث الفلسفي العربي، أو حتى مع المصادر الغربية التي يعود إليها مباشرة إن تعلق الأمر بالفلسفة المعاصرة أو الفكر الغربي عمومًا، دون أن ينتظر دراسات معاصريه وترجماتهم بأن يضعها ضمن ثبت مراجعه المعتمدة، في اعتداد بالنفس وبإمكانات الذات لا توصف.

واعتداد بدوي بذاته ذو التأثر النيتشوي يتجاوز هذا كله حدًّا بلغ به الأمر إلى وضع اسمه على مؤلفات حققها أو ترجمها ليذكر اسم صاحبها الأصلي والأصيل في أحد الهوامش أو أسفل واجهة الكتاب وبخط دون الخط الذي كتب به هو اسمه، أو لا يذكره أصلاً في جرأة تخفي إعجابه بالعمل ورغبته الجامحة في تملكه، وحمل العمل لاسمه هو، لا لاسم دون اسمه، وكأنه يودّ أن يقول إنّ المنجز من الإنتاج الثقافي كما حمل اسمه، فإنّ غير المنجز من ذات الإنتاج يجب أن يحمل هو أيضًا اسمه، في محاولة منه لتضخيم الذات واستعظامها ليكون وحده دون غيره الذات القابلة للمدح والثناء أما الآخرون فلا يجب أن يُقبَل عليهم أصلاً، لذا فقد كان يسارع الزمن وأقرانه ليحقق لأعظم الأسماء الفلسفية وأجلها في تراثنا الصوفي والكلامي والبلاغي، ليحقق للتوحيدي، ولأبي سليمان المنطقي، ولابن سبعين، وشذرات البسطامي، ولابن مسكويه، وللمبشر بن فاتك،

ولشهاب الدين السهروردي، ولجابر ابن حيان، ولجالينيوس، هذا دون ذكر تحقيقاته للشيخ الرئيس، ولابن رشد الحفيد، ولأبي حامد الغزالي، هذا ويعاجل الزمن والدارسين العرب والمستشرقين في التنقيب عن النصوص الغميسة لأفلوطين والأنبدوقليسية المنحولة، والشذرات الهرمسية، ونصوص الإكسندر الإفروديسي، ونصوص ملاحدة الإسلام كابن الراوندي، وجمع آراء الفرق الكلامية ورؤسائها، وكذا تحقيقاته لأرسطو المترجم عربيًّا مسابقًا عمره ومنافسًا مجهودات الجميع.

وفي السياق ذاته يستسهل بدوي جدًّا تقزيم القامات الكبيرة ومقاضاتها ليعلي من قامته هو باعتباره بطل الفكر التاريخي الذي لا يشبهه أحد، مستعينًا في ذلك بذكر مثالب الحياة الشخصية لكبار المفكرين الذين يود استصغارهم، فيطعن في توجهات طه حسين الفكرية من جهة انتماءات زوجته الفرنسية، ويجترئ على انتقاد العقاد من جهة علاقته بأتباع اللورد كرومر، أما قامة استشراقية كلويس ماسينيون فلا يتورع في حمل حادثة نسيان بسيطة له محْمَلاً سلبياً يجده بدوي سبيلاً للتشهير به، حيث يتفنن في صياغة حادثة نسيان ماسينيون أداءه فواتير المبيت بالفندق الذي كان يسكنه معه، ليجعل منه مأساة أخلاقية، لا يفهم لم قام بها ماسينيون الذي يصفه بدوي لمزًا وهمزًا بالمتدين جدًّا، والذي كان مُصراً أيام المؤتمر على المشاركة في القُداس الديني في ساعات الصباح الأولى، بالرغم من البرودة الشديدة، وعلى الرغم من إصابته باعتلال رئوي قاسٍ وشديد جدًّا، وعلى الرغم من أنّه كان مواظبًا على أن يضع جوار مخدته لوحة للآية القرآنية **"لن يجيرني من الله أحد"** وأحد أقوال الحلاج التي يدعي بدوي الذي لا ينسى شيئًا أنّه لا يتذكرها[8]، وذلك في محاولة للكشف عن الجوانب السلبية لأقرانه ولو بلمزهم في أخص خصوصياتهم.

2- موقف بدوي من معلميه:

نقمة بدوي على واقعه ومجاله الخاص الذي نشأ فيه وتشاؤمه الراسخ والوثيق يعودان إلى طفولته الأولى، الشيء الذي يدعوه بألا يتورع منذ بداياته في كتابة سيرته الضخمة من التعبير عن حنقه من معلميه، حيث يبالغ في التهجم على نظام التدريس في عصره ككل، بوصف طرق التدريس التي اعتمدها معلموه بكونها مناهج تعتمد آليات للتعذيب لطالما تفنن في استخدامها معلموه الذين يصفهم بالقساة المتفننين في ألوان العقاب وإلحاق الضرر، بالضرب بالمؤشر والخيزرانة، والصفع على الخدود والركل والركوع على الأرض وغيرها من صنوف الإهانة والإذلال المقيتين، مما جعل خوف التلاميذ منهم شديدًا ومرعبًا بحسب بدوي، غير أنّه وبشكل غريب عجيب لا يتورع أيضًا في الوقت نفسه عن اعتبار هذه الشدة والغلظة القاسية هي في مصلحة

[8]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ص 162

التلميذ، بل ويشيد بها على الرغم من توصيفاته السيئة لها، باعتبارها طريقة ناجعة وناجحة لا في التربية فقط، بل وفي إتقانهم المواد المحصلة، حيث يذكر باعتزاز لا يهتز طرفًا مما كان يَسْتظهر على يد معلميه بسبب الخوف والرهاب منهم والرعب من قسوتهم، من مثل قصائد المتنبي، وصفي الدين الحلي، وأبي العتاهية، وخطب علي بن أبي طالب، والحجاج، وواصل بن عطاء المعتزلي، في تباهٍ من بدوي بجدوى العنف والتعنيف والقسوة والغلظة في التعليم وتحسين جودة التلقين على الرغم من الإدانة التي يكيلها لمعلميه المعنفين في تناقض غريب من فيلسوفنا بدوي.

ويحمّل في الوقت نفسه مسؤولية انحطاط التعليم المصري المدمر إلى فرسان التربية (البيداغوجيين)، الذين خَرَّبوا بحسبه بمناهجهم التربوية "العلمية" المزعومة والمستحدثة النظام التعليمي، عن طريق تخريبهم التكوين اللغوي والفكري للتلميذ المصري، إلى جانب تخريبهم تعليم اللغة العربية، فقضوا بحسبه قضاءً تامًا، على تعلم اللغات الأجنبية، ليستحقوا وصفه لهم بأنّهم ضالون مضلون.

وفي السنة العاشرة من عمره يذكر أنّه انبعثت في نفسه لوعة حادة إلى الأدب والتأليف، فأخذ يقرأ للمنفلوطي الذي كان له أثر بالغ في أسلوبه، وفي بناء مشاعره، خاصة مع كتابه "ماجدولين" الذي كادت تتفوق عنده على الأصل الذي ترجمت عنه، وكذا على مجموعة من روائع الأدب العالمي وعيونه، وفي سن الثالثة عشرة يذكر بدوي أنّه قرأ "نفح الطيب للمقري"، و"شرح سقط الزند" للمعري وغيرها، وفي سن الرابعة عشرة أخذ يقرأ لشعراء الانجليزية، مما جعله يدخل في نقاشات يستفز معها أستاذه الأنجليزي الذي قدم له بدوي كتاب إسكاون بلنت عنوانه: "فضائح أنجليزية أثناء الحكم البريطاني لمصر"، فاشتد احمرار وجه أستاذه، وانتابه غضب عظيم وكظيم من تلميذه السليط اللسان.

ويتهم أساتذته في اللغة العربية بأنّهم كانوا مجلبة للضحك والسخرية في أغلبهم[9]، لهذا استحق بعضهم ألقابًا تلاحقهم في المدرسة والطرقات[10]، ويروي كيف أنّ أحد مدرسيه وهو ينتقد طه حسين قال لتلاميذه: "لو أريت هذا الرجل (أي طه حسين) لقتلته على الفور". فما كان من بدوي إلا أن اندفع إليه قائلاً: "وأنا كنت سأقتلك في الحال" في جرأة بدوية تستهويها لغة التحدي الطفولي نحو خلق المشاجرات، وصنع مشاكساته الأولى التي لن تنتهي مع كل الأطراف.

[9]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 41

[10]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 42

وبكثير من الاحتقان والبغض يستعيد بدوي ذكرى ناظر مدرسته الذي عاقبه دون جريمة يستحق عليها العقاب بشكل يقول إنّه أثر في نفسه عميقًا، وترك ندوبًا نفسية لا تبرأ في دواخله، ظلت تنكأ فيه، إلى درجة أنّه كان دائم التذكر لناظر المدرسة كلما حل به ظلم دون أي ذنب ارتكبه، مقتنعًا وحاكمًا من خلال حادثة العقاب تلك بسفالة الإنسان، وحماقة تصرفاته، وولعه الشديد بالقسوة على الأبرياء، والخوف من الأقوياء، حتى أنّه يعتبر اللوم والنذالة والولوع للأذى هي صفات مميزة للإنسان دون غيره من خلق الله[11]. إذ الشر والحسد هو قدر الأخلاق البشرية ومقبرتها، مدخلاً عالم الأخلاق إلى عالم النكرات وغير الموجود إلا في قصص المتخيل البشري ورواياته.

3- موقفه من المفكرين العرب، ومن زملاء الجامعة:

يعد عبد الرحمن بدوي مفكرًا مفتتنًا بنفسه الموهوبة والحاذقة، وكذلك مفكرًا سليط اللسان على غيره وعلى من يقترب منه، بشهادته هو في سيرته عبر رصده لمجموع معاركه الفكرية التي تكوّن لديه في سيرته رصيدًا، وبشهادة من عرفوه أو ممن نالهم نصيب وحظ وافر من نقده المتجاسر الذي لا تنتهي ذخيرته ومدخراته، حتى عُدَّ رجل المناوشات والمشاكسات الشرسة، ومتقنًا أدوات التهكم وتخسيس أدوار الآخرين ومبخسًا أعمالهم في انتقاص يبلغ به حدوده القصوى، وممعنًا في إهانة الخصوم الذين يستحقون خصومته والذين لايستحقون ممن لم يبدؤوه بالخصومة، حتى ليكاد يتحقق حقده على الجميع دون استثناء أحد، وكأنّ الكل أتوا من الفضاعات ما يستحقون به مقته، وذلك منه نتيجة لاعتباره الجو الثقافي والجامعي جوًّا مسمومًا شديد الحنق، تكثر فيه الحزازات والوشايات والمهاترات والمؤامرات، بشكل صارت معه الجامعة ماخورًا لأمراض الروح وتسممها، مما دعاه دومًا إلى أن يجعل طريقه الأمثل هو ألا يعبأ بأحد، متخذًا من الترفع، بل والازدراء جهاز دفاعه الفعال في محيطه الوبيل والمتعفن، الذي سيؤدي بالثقافة إلى شللها الرباعي وسينعم عليها بوهنها العضلي التام، وسيفرض توعك الفلسفة الشامل، فيجعل قاعدة سلوكه مع جميع هؤلاء ممن هم أشباه مفكرين دون تفكير كما يقول هي القاعدة الآتية: "امتلئ ثقة بنفسك، وازدراءً للحاقدين"[12].

دون العلاجات الرديئة يختار بدوي طريق الازدراء والغطرسة والزهو والتبختر في دوائر السمو والتعالي على من يَعُدهم ضمن دوائر المتصاغرين إذ هو الطريق والعلاج الذي يصلح بحسبه للجو الجامعي المليء بالشرور والأشرار عنده، والذي يصلح لتهدئة نفسه المعتلة بسبب حنقه من زملاء التدريس والدراسة الذين لا يعملون ويؤذيهم أن يعمل الناس، ويحز في أنفسهم رؤية نجاحات الآخرين، من الذين لا سلاح لهم في

[11]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 44

[12]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 157

التنافس العلمي غير الدَّس والوقيعة، والوشاية والتزلف إلى ذوي النفوذ داخل الجامعة، وخارجها، بشكل حول هيئة التدريس إلى عش للأفاعي ينهش بعضها بعضًا، ويورث الخصومة بينهم ويفتعل جوًّا قرمزيًّا من الضغائن والتحاسد، فالعمداء عنده لم يصلوا إلى مناصبهم بالعلم أو الكفاية الإدارية الجامعية، بل بالصداقة مع من حَكَم وتحكم أو العلاقات الحزبية الدنيئة البالغة الخسة، وكذا الدسائس الخسيسة والدَّنِية الخالية من الشرف والتشريف.

ولا يعبأ بدوي كثيرًا بتسمية الأشخاص باسمهم ووسمهم بشكل مباشر، وبعدها بصلبهم واحدًا واحدًا، ثم جلدهم كذلك واحدًا واحدًا، دون شفقة ولا توارٍ وراء دعوى الخجل أو الحياء من أحدهم تجاه من كانت لهم سابقة ما أو قيمة ما في ساحة الفكر والعناية بالتراث، ومهما كانت شهرتهم، حتى ليُظن أنّه لم يستثن أحدًا من زملائه بل ومن شيوخه، إلاّ من نسيه، أو رحمه قلمه الذي شُحِذَ للجميع، وروحه الساخرة المستهترة بالجميع والمشمئزة من الكل، والمطنبة في نقدها، واستعداده الفروسي الدونكيخوتي للخصام ضد من يعتبرهم أساطين التملق والنفاق لا أساطين الفلسفة والفكر كما يعتبرون أنفسهم وكما جعلوا عوام الناس يعتبرونهم كذلك، فلا سابقةُ أحمد أمين تعفيه، ولا أدبية طه حسين ومشيخته وأستاذيته تنجيه، ولا زمالة نجيب بلدي وعمقه تلهيه عن نقده، ولا قيمة غير هؤلاء تعتقهم منه وتستنقذهم من سطوته، فالنار والشنار والويل والثبور على وللجميع، ليصيروا بين يديه حبات قمح لا بد أن تطحن، مقدمًا نفسه بالتالي كما سقراط بمثابة الطبيب والمنقذ[13]

لكل هذا، وبجرة قلم يستحق اعتباره الشديد السخرية، والسقراطي الوقاحة عدم حصول أساطين الفكر العربي على الدكتوراه خلال بعثاتهم إلى فرنسا من أمثال محمد الخضيري ونجيب بلدي وعثمان أمين ومحمد منصور وعلي حافظ، مكتفين بالليسانس أو بربع الليسانس (كذا)، هو عنده لا بسبب عدم إتقانهم للفرنسية، بل بسبب قلة ذكائهم المقرون بالكسل وعدم الرغبة في التعلم والتحصيل[14]، فينصحهم هازئًا من موقع الأستاذ المجد للتلميذ المُلِدِ بأن يلوموا أنفسهم على ما فرطوا في جنب المعرفة والعلم، وألا يعلقوا أسباب فشلهم على غير تكاسلهم، وبكثير من الاعتزاز بالنفس يصف بدوي انتصاره على زملائه عند مناداته لإلقاء محاضرات عدة في السوربون في لغة تصف مدى الهوة التي كانت بينه وبين زملائه في الجامعة المصرية بقوله: "وكان اختياري أنا وحدي من بين الأساتذة التسعة عشر ضربة موجعة أصابت رؤوس المتربعين على الكراسي في الجامعات الثلاث، أطاحت بأوهامهم ودسائسهم، وادعاءاتهم الكاذبة (...) وواعجبًا لهذا الحقد الأزرق الذي ينهش النفوس

[13]- ينظر فريدريك نيتشه، غسق الأوثان أو كيف نتعاطى الفلسفة قرعًا بالمطرقة، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2010، ص 32

[14]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 156

في مصر، ووجدت في هذه الدعوة وسيلة النجاة من هذا الكابوس الرهيب الذي كنت أعيشه في مصر، وعزمت أن يكون سفري هو "الهجرة" بالنسبة لي"[15].

قرار بدوي بالبحث في مراكب الهجرة المستمرة، لنفسه عن أسمى حالات العزلة والانعزال والانزواء التام عما يربطه بالأجواء الثقافية لعصره ليكون نموذجًا للمسافر وظله، إنّما يعيد وبشكل مكرور السيرة الفلسفية لمتوحد ابن الصائغ في رغبته في الابتعاد عن مثبّطات الاتصال والنجاح بالابتعاد عن النوابت الشريرة القاسية الحكم على سقراط زمانه بدوي مصر، صائغًا، أي بدوي، صورة لنفسه وللفلسفة من خلال صراعاته مع مفكري عصره الفاشلين، بحسب تعبيره، تشبه صورة أغلب ضحايا التفكير الحر والبناء الذي يذكرنا قدره بقدر الفلسفة الحزين مع أهلها ومحيطها الكاره لها مكررًا قول أبي الوليد بن رشد واصفًا الاضطهاد الذي عاشه الفيلسوف ابن باجة في المدينة المغربية والأندلسية بالقول: "وإذا اتفق ونشأ في هذه المدن فيلسوف حقيقي كان بمنزلة إنسان وقع بين وحوش ضارية فلا هو قادر على أن يشاركها فسادها، ولا هو يأمن على نفسه منها، ولذلك فإنّه يفضل التوحد ويعيش عيشة المنعزل، فيذهب عنه الكمال الأسمى"[16].

4- بدوي منتقدًا أساطين الفكر العربي:

بدوي كما قلنا لا يستثني أحدًا من نقده بما في ذلك أستاذه طه حسين الذي لطالما دافع عن بدوي في الجامعة، والذي كان بدوي معجبًا به في أيامه الأولى، حيث كان أسلوبه بالنسبة إليه "كالنهر المنساب في إيقاع عذب رقيق"[17]، لكن سرعان ما خبا هذا الإعجاب عنده، فثار بدوي على عادته في مهاجمة القريب والبعيد ضد أستاذه في تمثل إحدى حكم زرادشت نيتشه بأنّ على الإنسان العارف أن يكون قادرًا على كره أصدقائه، فاعتبر محاضراته وفي راحة ضمير منه مخيبة للآمال وضعيفة، بل ويلمزه في شخصه من كون زوجته الفرنسية هي التي كانت وراء انحيازه للفكر الفرنسي وأنّ حب طه حسين الكبير لها هو علة جنوحه إلى كل ما هو فرنسي، الشيء الذي جنى على علميته وعلى موضوعيته. ولا يكف هنا، بل ويتهم طه حسين بأنّه كان مغرقًا في الحزبية السياسية الوفدية التي كان بدوي يكرهها ويمقتها ويمقت المنتمين إليها، بحيث يتهم طه حسين بأنّه يصدر في جميع أفعاله عن هذا المنطق الحزبي الضيق، بل ويتهمه بالتعامل مع البوليس السري إذ كان يبلغ بحسب بدوي رجال البوليس والعملاء عن الطلبة المعارضين في الكلية مستعينًا في ذلك ببعض الجواسيس والمتزلفين إليه من الطلبة.

---

[15]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 382

[16]- ابن رشد، الضروري في السياسة (تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون)، ترجمة أحمد شحلان، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية1997، ص 141

[17]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 28

أما زكي نجيب محمود، فإنّ أسباب المنافسة على المناصب الجامعية جعلت بدوي يقدمه باعتباره خاوي الوفاض من أي تعليم وتكوين فلسفي، ويتهم ما يكتبه على سبيل التحذير منه بأنّه مجرد مقالات أدبية سطحية ومسروقة، معظمها تلخيص بسيط وساذج لكتاب ول ديورنت: "قصة الفلسفة"، وهو أصلاً كتاب بسيط وسطحي لعامة المبتدئين في الثقافة كما يعتبره بدوي، ويجعل من أسلوب زكي نجيب محمود في الكتابة أسلوبًا لطالب في مستوى المرحلة الإعدادية، على الرغم من أنّ زكي نجيب محمود اشترك معه في ترجمة أحد أعمال ألبرت أشفيتسر بمراجعة زكي نجيب لكتاب "فلسفة الحضارة" في حادثة فكرية غريبة من بدوي الذي لا يُراجع من ورائه أي عمل، ولا يقدم له، وإنّما استجابة فقط لشروط النشر في دار النشر الحكومية التي تفرض وجود مراجع للكتاب المقبل على النشر. وكزكي نجيب محمود تعرض أحمد فؤاد الأهواني لهجمة شرسة من بدوي إذ يعتبر إنتاجه العلمي في الفلسفة كله شيئًا لا يستحق الذكر أصلاً[18]، وأنّه مجرد تخيلات نفسية لا غير، لا ترقى لأن تكون أعمالاً فلسفية متكاملة الجوانب تصلح لأن تستثير الاهتمام، وكذلك الأمر بالنسبة إلى غيره من المفكرين الذين لا تعد كتبهم عنده غير ثرثرة أكاديمية عالية المستوى، لا تستوي ولا تتساوى مع صلابة أبحاثه وعمق مشاريعه، التي يظهر معها كالرجل المتعلم تعليمًا حقيقيًّا من بين أقرانه.

ولا ينجو من حدة مزاجه ونقده حتى أساطين الإصلاح من مثل الشيخ محمد عبده مفتي الأزهر وشيخه الكبير، حيث يتهمه في وطنيته، باتهامه له بالتعامل مع الاحتلال الانجليزي، عبر صداقته باللورد كرومر، هذه العلاقة التي يعتبرها بدوي علاقة حميمة تشبه علاقة التابع بالمتبوع، والذليل بالجبار، والمطيع بالخاضع للأمر المستكبر، بحيث أنّ كرومر هو من كان يأمر محمد عبده، بكتابة مقالات ضد محمد علي. ويسخر بدوي من اعتبار أتباع محمد عبده شيخَهم أحدَ المصلحين الدينيين ليتساءل بدوي مستنكرًا: "أي إصلاح ديني قام به؟"[19]، ويعتبر بدوي الإنتاج الفكري للشيخ محمد عبده لا يشفع له مطلقًا ليحمل لقب المصلح لأنّه ضئيل جدًّا، إذ لا يعده أن يكون غير كتيب صغير هو "رسالة التوحيد"، وهي سلسلة محاضرات ألقاها في لبنان بعد خروجه من مصر وإن كانت واضحة العبارة، حسنة الأسلوب، فإنّها من حيث المادة خجلة بسيطة، لا تفيد غير المبتدئين في هذا العلم، وما عدا "رسالة التوحيد"، فليس له من الإنتاج الفكري فضل غير تعليقات بسيطة على مقامات "بديع الزمان الهمداني"، و"نهج البلاغة" المنسوب إلى الإمام على بن أبي طالب.

وحينما يأتي الدور للحديث عن محمود عباس العقاد فإنّ بدوي يجد لذة عارمة في الهزء به، فينعم عليه بسخرية قادحة، تعبر عن موقفه منه، فأسلوب العقاد عند بدوي كالسيل المتشنج في انحداره من جبل أجرد، في

[18]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 227

[19]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 51

مقابل أسلوب المنفلوطي الذي يشكل عند بدوي سحرًا ليس لأيّ كان أن يتحسس معالمه، اللهم الشباب المرهف الحساسية[20]، ويتهمه مثل كثير من المفكرين غيره بالتخندق داخل عوالم السياسة الحزبية، الضيقة الأفق، حتى أنّ حياته، أي العقاد، صارت مأجورة وموزعة على خدمة الأحزاب فمرة مع الوفد، ومرة مع أعداء الوفد، فمثلما كان مأجورًا لدى النقراشي لينتقد حركة الإخوان ومصر الفتاة، كان قلمه مأجورًا أيضًا لبريطانيا في مدة الحرب العالمية الثانية، مستخدمًا لسانه السليط وما يزعمه لنفسه من قوة عارضة في التطاول على خصوم من يشتغل للدفاع عنهم[21].

أما المفكر المصري الكبير أحمد أمين فلا يسلم هو الآخر من سلاطة لسان عبد الرحمن بدوي وحدة طبعه وغروره المتحفز والمتجاسر، إذ تعود أسباب عداوة بدوي له هو الآخر إلى أيّام كان الأول فيها عميدًا رفض مناقشة رسالة بدوي لليسانس التي أشرف عليها أندريه لالاند وألكساندر كواريه لأسباب تتعلق بميعاد تسجيل الرسالة، ليصفه بدوي بأنّه العميد الحقود[22]. ويتهمه بدوي صاحب الذخيرة النقدية التي لا تنفد بضيق الأفق، وبأنّ الغيرة تأكل قلبه من كل متفوق، ومن كل متقن للغات الأجنبية لأنّه بحسبه لا يعرف أي لغة أجنبية[23]، ويتهمه بالتعويض عن عجزه بانتحاله أعمال الآخرين وسرقة مشاريعهم وأفكارهم، وينفي عن مؤلفاته أي جديد وأي إبداع.

على كل فقد كان بدوي متحاملاً بشكل يخرجه عن الموضوعية لمرات، تجعله يعادي الآخرين لأسباب شخصية ويتهمهم وينتقدهم لأسباب تهمّ أشخاصهم أكثر مما تهمّ مؤلفاتهم مهما كانت مكانتهم من الثقافة العربية الإسلامية، فيقول عن مشروع محمد أركون الفكري إنّه تشويه الإسلام وإساءة إلى نبيه، والطعن في قرآنه المجيد محيطًا كل ذلك بمزاعم معرفية لا أساس لها، متراوحًا في مواقفه من مفكري العرب بين الصمت غير الوقور الذي لا يعبر عن سكينة محمودة وإنّما الصمت المريب الذي يلد ازدراءً وتنقيصًا كبيرًا للمسكوت عنهم من الأقران المنافسين، أو بين الشماتة المبهمة والتقديح في الأسماء الكبيرة بشكل يصير ويتحول معه نقده نهرًا من اللعنات المثقلة بذكر المثالب والمساوئ لا الفكرية فقط ولكن الخصوصية أيضًا النابعة من تجارب الحياة الخاصة بكل واحد، فيصير رموز الثقافة والفكر رموزًا لهلاك الثقافة والفكر نفسيهما دون أن يبرئ أحدًا من ذلك في الوقت الذي يتبرأ منهم جميعًا.

---

[20]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص ص 28-29

[21]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 133

[22]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 65

[23]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 153

5- موقفه من فلاسفة عصره:

تعود علاقة بدوي بأساطين الفكر والفلسفة الغربيين إلى بداية دراسته الجامعية في القاهرة، إذ سيدرس الفلسفة على يد من يصفهم الأساتذة الفرنسيين، كمؤرخ الفلسفة الكبير إميل برييه bréhier، وأندريه لالاند lalande، وألكسندر كويريه koyré، وبرلو burloud، وكانت علاقته بهم جميعًا علاقة جيدة بالمقارنة مع أساتذته العرب، باستثناء الشيخ علي عبد الرازق الذي كان يكن له كامل التقدير والمحبة، نظرًا لما كان من عبد الرازق تجاه بدوي من احترام وإجلال لكبرياء بدوي ودعم معنوي له في أبحاثه كما في بعض معاركه[24]، وكذلك الأمر بالنسبة إلى لالاند، فقد أشرف لالاند على رسالته للحصول على الماجستير تحت عنوان: "مشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة"[25]، ومن فضائله عليه كما يعترف بدوي نفسه أنّه كان ممن تحمس لتعيينه معيدًا في قسم الفلسفة، غداة حصوله على الليسانس، وزكاه تزكية حارة، وجعله معيدًا لدروسه، ومترجمًا له، وكان لالاند يصر على وضع اسمه مقرونًا باسم بدوي في جدول دراسة الطلاب.

أما ألكسندر كواريه وهو المشرف الثاني على رسالته، فيعتبر بدوي أنّ له فضلاً كبيرًا عليه هو الآخر، لجمعه بين النزعة الميتافيزيقية والنزعة العلمية، التي ستؤثر في منهج بدوي في دراسة الأفكار وفي الكتابة، وتعلم منه اهتمامه بالتيارات الصوفية بقدر اهتمامه بتاريخ العلم الحديث، ودافع عنه كثيرًا في وجه أحمد أمين الذي رفض مناقشة رسالة بدوي للماجستير، وإلى جانب هذا كان بدوي يستعين في تطوير تمكنه من اللاتينية بالكسندر كواريه الذي لا يتأخر في إبداء ملاحظاته عليها[26].

وكعادة بدوي مع المفكرين العرب لم يتأخر في توجيه انتقاداته لفلاسفة أوربا الكبار بما في ذلك أئمة الفلسفة الوجودية التي كان يدين بها بدوي لفترة من عمره، فلا يجد عيبًا في انتقاد محاضرات الفيلسوف الوجودي الألماني كارل ياسبرز (1883-1969) التي كان شاهدًا عليها في جامعة بازل، فيصف طريقته في الشرح بأنّها مملة وصوته بأنّه كان خفيفًا يبعث على النوم خاصة مع قراءته الملازمة لكراسته التي دون فيها محاضراته، الشيء الذي جعل دروسه لا تتجاوز في حضورها عشرة طلبة، إلى جانب زوجته التي لا يتركها

---

[24]- في هذا الصدد يكتب بدوي إهداءً يعبر فيه عن علاقته الجميلة والفريدة الشاذة التي لا حكم لها مع باقي العلاقات، يقول مهديًا كتابه "الإنسانية والوجودية في الفكر العربي": "إلى أستاذي الأكبر مصطفى عبد الرازق، بروحك الممتازة، بهرتني بنور الإيمان، وأنا في موجة الشباب المتمرد، وتجسدت نموذجًا للإنسانية في بيئة ضاع فيها معناها، فأعدت إلي الثقة بالإنسان، أواه، بالأمس كانت روحي تصرخ من عمائق هاوية العصيان، فلا تجد غيرك يستمع لهذا الصراخ، فمن لي اليوم بمن يردني من العصيان إلى الإيمان، ومن الثورة إلى الإذعان، وبالأمس كان من أعز أماني أن أهدي إليك كتبي يدًا بيد، فهل لي أن أطمع اليوم في إهدائها إليك روحًا لروح" (ينظر عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1986، د ص.)

[25]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 63

[26]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 116

بدوي بسلام هي الأخرى ليذكر الفروق والفوارق التي تجمعها بزوجها من كونها يهودية في حين كان هو مسيحيًّا، وكانت تكبره بأربع سنوات[27].

ولا يستثني من أمر نقده المفعم بالحيوية التي لا تؤمن بكبير أو عظيم في الفلسفة وسخريته التي تستبطن صرامة قاسية، جون بول سارتر كذلك، بالرغم من أنّ بدوي كان من أهم من عرَّف به في العالم العربي عبر ترجمته لكتاب سارتر العمدة "الوجود والعدم"، فبعد نقده لواقع الوجودية في فرنسا في سنوات الأربعينات من كون أنصارها لا يفهمون عنها شيئًا -الشيء الذي أشعره بضيق شديد لعبثهم بمذهب بالغ الجدة والصعوبة مما أشعره نحوها بالغثيان الشديد من الحالة التي انحدر إليها الناس في فرنسا- يتوجه نحو سارتر الذي قرأ له بدوي فوجده بعيدًا كل البعد عن وجودية هايدغر، معتبرًا في الوقت نفسه كتابات سارتر عن الوجودية مجرد خليط من التحليلات النفسية، نافياً عنه أي إسهام يذكر في تطوير المذهب الوجودي فلسفيًّا[28]، ليقصم ظهر سارتر ومنزلته باعتباره مجرد أديب وباحث نفساني لا غير، ولا يثبت له أبدًا أن يكون فيلسوفًا وجوديًّا أصيلاً.[29]

ثم ينتقد بدوي ثورة 1968 الطلابية بفرنسا، ويجدها فرصة لينتقد معها زعماءها من المفكرين والفلاسفة الذين يبلغ به هزؤه بهم حد عدم ذكر حتى أسماء بعضهم بل الاكتفاء بالإشارة لهم عند الحديث عن ديغول الذي لم يمنح زعماء الثورة من المثقفين شرف الاعتقال ولو مرة بقوله: "ويكتفي بأن يذكر موقفه من جان بول سارتر وأمثاله"[30]، في إشارة واضحة إلى رموز الفكر الفلسفي الذين قادوا ثورة 1968 من أمثال فوكو ودولوز وبورديو وغيرهم فيصفهم بأنّهم كانوا محرضين على القلاقل البالغة العنف والتخريب، منتصرًا لديغول على حسابهم بقوله: "وكم أحسن ديغول صنعًا حين ترك هذه "الفقاقيع" تنتفخ وحدها ولا تلبث أن تفنى وحدها من تلقاء نفسها"[31].

وكعادته في عدم تمجيد أحد يأتي بالنقد على ميشيل فوكو باعتباره عينة انحطاط للفكر وارتكاس له لا تقدم ولا تطور فيه شيئًا، وذلك في سياق حديثه عن تطور فكر الانحطاط الشامل الذي تعيشه فرنسا وينخر ثقافتها من الداخل والذي سماه "البدع الفكري" الذي ساد فرنسا في سنة 1967 وما بعدها. فيذكر أنّه بعد تركه لفرنسا سنة 1955 على بدعة الوجودية في صورتها الشوهاء والزائفة الكاريكاتورية، بتعبيريه، في المسرح

[27]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 269-270
[28]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 183
[29]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 183
[30]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 25
[31]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 25

والحياة الفنية والأدب بوجه عام[32]، يعود إليها من جديد ليجدها مع بدعة فكرية أخرى هي "البنياوية"[33]، كما ترجمها وكتبها، والتي يعتبر بدوي أنّ فوكو واحد من أهم رموزها الذين يحدد مهمتهم، بكونها تتلخص في تهديم الفكر الإنساني عبر نشر فكرة موت الإنسان، وتحطيم العقل وتاريخه. ويصف محاولة فوكو تفسيرَ التاريخ البشري وفقًا لخصائص كل عصر ومقوماته بكونها محاولة مفتعلة تلوي التفسير، وينعت كتابه "الكلمات والأشياء" أو كما يترجمه بدوي "الألفاظ والأشياء" بأنّه كتاب مضطرب التأليف، ضعيف المادة واهي الاحتجاج، لا يستحق الشهرة التي حظي بها مطلقًا[34].

6- موقفه السياسي من أحزاب ما قبل الثورة:

قديمًا وصف التوحيدي الدنيا بالعاجلة المحبوبة، والرفاهية فيها مطلوبة، والطريق إليها بأخذ المكانة عند الوزراء والساسة مخطوبة بكل الحول والقوة، وبدوي في علاقته بالسياسة والساسة لا ينكر بتاتًا بداياته السياسية الأولى التي بشهادته كانت براغماتية خالصة، حيث خاض غمار السياسة في سنته الخامسة عشرة لأجل قضاء مآرب الأسرة التي كانت مصلحتها تقتضي مشاركته بحماسة شديدة مع حزب الدستوريين ضد الوفد[35]، الشيء الذي جعله يكيل التهم لحكومات الوفد، فهي عنده لم تقم بأيّ أعمال إنشائية مفيدة، بل اقتصر عملها على التهريج السياسي وإهراق المناصب والمكاسب على الأنصار، متهمًا الزعيم سعد زغلول بالخيانة والوصولية وممالأة الأنجليز المحتلين، ومعتبرًا أنّ ما يصدق على سعد زغلول يصدق على مصطفى النحاس، ويصف محمود فهمي النقراشي بالحمق وضيق الفكر، لتتوالى عنده خيباته التي لم يَسْطِع التغلب عليها، خيبات توالت منذ صغره من الساسة ومن سياستهم وإدارتهم لدواليب أمور مصره.

لكن بدوي سرعان ما تراجع وتوقف عن كل نشاط سياسي، لأنّه بحسبه ليس من طبيعة الأشياء، إذ رأى ألاّ مجال للعمل مع الأحزاب[36]، إلى جانب الشعور باليأس والإحباط فيما يتعلق بإمكان إحداث تغيير جذري في الحياة السياسية في مصر معبرًا بالتالي عن فقده أي أمل في الإصلاح من خلال العمل الحزبي والسياسي، مفضلاً أو مضطرًّا إلى التراجع والنكوص إلى الخلف، والابتعاد عن السياسة لصالح العزلة والانزواء الكلي عنها، وكأنّه يردد قول أبي نصر الفارابي:

---

[32]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 26

[33]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 26

[34]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 28

[35]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 46

[36]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 125

لما رأيـــت الزمـان نكـسا ... وليس في الصحبة انتفـــاع
كل رئيس بـــــه مـــلال ... وكل رأس بـــه صـــداع
لزمت بيتـــي وصنـــت ... عرضاً به من العزة اقتـــناع
أشرب مما اقتنيت راحاً لـها ... على راحـــــــتي شعـاع
لي من قواريرها نـــدامـى ... ومن قراقيـــرها سمـــاع
وأجتني من حـديث قـــوم ... قد أقفرت منهم البقـــــاع

لقد ظل بدوي محافظًا على مسافة الأمان بينه وبين الدولة، ساعده في ذلك طبعه المزاجي والحاد، وغنى أسرته الذي جعله محتميًا به من إغراءات الرتب الاجتماعية والإدارية ومتطلّبات العيال، الشيء الذي دعاه حتى إلى رفض جوائز الدولة التقديرية السخية وجوائز الجامعات المصرية دون أن تصبو رغباته وتشرئب نزواته نحو نياشينها وأدرع تكريماتها، مستعيضًا بصحبة الكتب ورقاع المخطوطات عن صحبة السياسة وأهلها من أهل الشنار واليسار.

لقد اعتزل بدوي السياسة إذن ليصبح قدماء الفلاسفة كالقرطاجني وإسحاق ابن حنين وثابت بن قرة ندماء ليله، وليغدو أبو حامد الغزالي والتوحيدي ومتى بن يونس الذين آخاهم له جلساء نهاراته، يدورون معه في أفلاك التأليف والتعريف بهم، ويديرون بينهم كؤوس الحكمة وأنخابها، رافعًا عنهم ومزيحًا غطاء غربتهم التي لفها به مسْلِماً مجموع هواجسه وتمثلاته السيئة عن واقعه الفكري والسياسي إلى توحده وهجراته البعيدة في ليبيا والكويت وإيران وفرنسا، والتي دامت سنوات وزعها مستقرًّا بين كل بلد من تلك البلدان إلى أن أسلم روحه في أحد شوارع باريس لا يعرفه أحد في أقصى نماذج الغربة وتغريب الذات ومثلاتهما، ليأخذ نصيبه من طول معاشرته لأبي حيان التوحيدي ومعاصره ابن مسكويه بعد أن لجأت به غربته إلى التصوف[37]. وتأخرت به طريقه إلى الدفاع عن الإسلام بكتبه ككتابه "دفاعٌ عن القرآن ضدَّ منتقديه"، وكتابه "دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره"، ليصدق عليه قول نفسه عن بطل روايته "هموم الشباب": "عرفت الإيمان الملتهب حتى صرت جمرة تحترق بنار الحب الصوفي الإلهي، وعانيت الإلحاد العرم فلم تفلت من سيفه البتار عقيدة ولا دين، حتى نعتني الناس حينًا بالولاية والقداسة وحينًا آخر بالكفر الأكبر، وكنت في كليهما مخلصًا مندفعًا عنيفًا"[38]، وليصدق عليه قول أبي حيان التوحيدي مرة أخرى: "(...) والعزلة محمودةٌ إلا أنّها محتاجة إلى الكفاية، والقناعة مزة فكهةٌ ولكنها فقيرةٌ إلى البلغة وصيانة النفس حسنة، إلا أنّها كلفة محرجة إن لم

[37]- لهذا ربما وضعه عبد المنعم الحفني ضمن موسوعته الصوفية، ينظر عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2003، ص 391

[38]- بدوي، هموم الشباب، م م، ص 155

تكن لها أداةٌ تجدها وفاشيةٌ تمدها، وترك خدمة السلطان غير الممكن ولا يستطاع إلا بدينٍ متين، ورغبةٍ في الآخرة شديدة، وفطامٍ عن دار الدنيا صعب، ولسانٍ بالحلو والحامض يلغ"[39].

7- موقفه المتحيّز إلى النازيّة:

هذا الوضع النفسي الشاذ عند بدوي لن تنتج عنه غير مواقف سياسية قد تكون الأكثر شذوذًا وغرابةً، يمثلها موقفه الغريب جدًّا والإيجابي جدًّا من أدولف هتلر ومن السياسة النازية، إلى حدّ أن كانت جزءًا من كينونته. يقول مراد وهبة: "في عام 1945 كنت طالبًا في قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وكان عبد الرحمن بدوي يحاضرنا في الفلسفة المسيحية والمنطق، وفي 30 أبريل 1945 انتحر هتلر، وفي اليوم التالي دلف عبد الرحمن بدوي إلى مكان المحاضرة، فلمحنا ربطة عنق سوداء (كذا) وعندما سألناه عن السبب قال: "لأنّي حزين على وفاة هتلر"، هكذا وعلى عكس التيار كان عبد الرحمن بدوي يسبح دومًا لكن هذه المرة بانتمائه الغريب والشاذ عربيًّا للنازية، والتي تدخّل فيها إيمانه الكبير بوجودية هايدغر، وبثقافته الألمانية العميقة، وبماضي ألمانيا غير الاستعماري لا كما هو الحال مع الفرنسيين والطليان والبريطانيين، فكان هتلر عنده هو الزعيم الوطني الذي جعل ألمانيا سيدة أوربا.

يذكر بدوي أنّ الذي لفت انتباهه إلى النازية وأثار إعجابه بها في نفسه[40]، هو دعوتها إلى تحرير ألمانيا من عقود معاهدة فرساي المذلة التي فرضت على ألمانيا بمقتضى قاعدة: "الويل للمغلوب"، فمزقت أوصالها وأراضيها[41]، مما جعله ينتصر لها انتصاره لأي مظلوم، الشيء الذي قاده إلى نشدان مثاله الأعلى في شخص قائدها الذي يود رفع الظلم عن بلده القائد هتلر، خاصة وبدوي يعترف أنّه فتح عينيه في قرية تناصر النازية إذ يذكر أنّه نشأ في وسط يتعصب لألمانيا ضد دول الحلفاء، وسط كان أحد أبناء قريته نظم شعرًا في الامبراطور غليوم الثاني يحرضه على تدمير فرنسا في الحرب العالمية الأولى قائلاً:

إليـــك غليـــوم ألمانيا وبهجتها مني ثناء بختم المسك أهديـــــه
ومد شعوب فرنسا بالدمار فهم محللو الفسق جهرًا في نواديه[42].

[39]- أبوحيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، ج 1، ص 13

[40]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 54

[41]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص ص 52-53

[42]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 53

هذا دون أن تثير الفاشية ومؤسسها موسوليني أي إعجاب لديه، لأنّها بالنسبة إليه لا تصح أن تكون نموذجًا لإنسانية يمكن أن يحتذى بها.

هذا وتتوطد علاقات بدوي بالنازية، من خلال زيارته لمدينة منشن التي صارت عاصمة الحركة النازية وقاعدتها الخلفية منذ الانقلاب الأول غير الناجح لهتلر، حيث سيحضر بدوي أحد خطابات هتلر مباشرة، من مسافة لا تتجاوز خمسين مترًا، فكانت الخطبة عند بدوي حافلة، وطويلة، ومثيرة لإعجاب فيلسوفنا، بشكل جعله ينعم على هتلر بصفات القيادة والخطابة المؤثرة، بما لا يدع مجالاً للشك على تأثره الكبير به. على الرغم من أنّ موضوع الخطبة الدعوة إلى قيام فن ألماني أصيل عبر التخلص من الفن المنحل، بتعبير هتلر، الذي ساد ألمانيا في العشرينات، ودعوة الفوهرر وأمره بإحالة كل فنان من أتباع الفن الممسوخ وغير السوي إلى وزارة الداخلية لتعالج حمقه وجنونه، ووضعهم في مستشفيات للمجانين باعتبارها تابعة لوزارة الداخلية ليعالجوا العلاج المناسب[43].

وسيزداد ارتباط بدوي بألمانيا النازية أكثر وأعمق مع شغفه وحبه الكبير لفتاة ألمانية من المدينة نفسها، إذ كان حبه لها ضربة صاعقة، حافلة بالأحاسيس الحارقة والحارة، والوجدانيات العرمة، والخيالات الزاهية، فيقول عنها منشدًا بعد ما غادرت المدينة منشن إلى وجهة لا يعلمها:

يا ابنة "الإيرز" يا أحلى فتاة أيــن أنــت الآن؟ آه مــنــك آه؟
شعلة الحــب التي أوقـــدتها نورت للقلب أسبــاب الحيـــــاة
ونداء النهد ريــان الصـــدى يعرض الشهوة فـي كأس الجنـاه
أين وعـــد منك خطته القبل أين عهد بالوفا حتى الأجـــل؟

وستنكشف نزعة بدوي النازية وتعصبه الكبير لها لوحدهما، مع الحرب العالمية الثانية وأثناءها، حيث سيتابع أخبار ألمانيا ومعها أخبار مدينة حبيبته النازية بكل ترقب وحرقة، داعيًا الله ومتضرعًا إليه ليحفظ حبيبته، ومعها بشكل منطقي دولة الرايخ النازية، واصفًا الأمريكان والحلفاء بالبربرية، وواصفًا غارات الطائرات الأمريكية بالوحشية فيقول: "رحماك يا يوهنا جابلر yohanna gablller، وكان الله معك في هذه المحنة الرهيبة، إنّ برابرة هذا العصر هؤلاء الأمريكيين الذين خلوا من كل وازع إنساني، وخلقي، يصبون على بلدك الجميل نار عذاب دونه نار الجحيم، وليس في إجرامهم هذا أية شجاعة، لأنّ الدفاع الجوي عن منشن

[43]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 82

لم يعد له وجود، وهؤلاء الجبناء قد استغلوا ذلك لتدمير منشن بوصفها عاصمة الحركة النازية، لارتباط ذلك بأي نصر عسكري"[44]، ثم بلغة صادقة تؤشر هي الأخرى بشكل مفتضح على رغبته الجموح الدالة على تشبعه بمبادئ النازية وهيامه الثابت بهتلر في مشاركة ألمانيا الحرب في مواجهة جيوش الحلفاء، حين تمتزج صورة حبيبته ومنزلتها في قلبه، بمنزلة هتلر وألمانيا عنده بقوله: "بودي لو كنت بجانبك أشاركك بعض هذه المحنة، لكن هيهات هيهات"[45].

8- موقفه من جمال عبد الناصر:

ويُتَوجُ بدوي طريق الهزء والسخرية التي تشبه سخرية سقراط من القدماء، وتهكم بولتمان من المحدثين من عالم بدوي ومن المحيطين به عند الحديث عن رموز الدولة المصرية الحديثة، ليُكوِّن موقفًا جد سلبي من رمز رموزها جمال عبد الناصر، إذ يصف في سخاء نقدي ساخر ومبالغ فيه تصرفات القائد العروبي جمال داخليًّا وخارجيًّا بلغة هي الأكثر قسوة بوصفه لها بالتصرفات الحمقاء والطائشة التي لا تحسب حسابًا لأي شيء غير الدوي الأجوف العقيم حول شخص القائد الثوري، الشيء الذي لم يؤد إلاّ إلى جلب الخراب والويلات لمصر ولشعب مصر ولمكانة مصر في وسطها العربي القريب وفي امتدادها الدولي البعيد، بحيث لم يكن لعبد الناصر بحسب بدوي أي اهتمام بالمنافع الاقتصادية، بل كانت رغبته تتحدد فقط بتحقيق أعمال سياسية مفاجئة تحقق له الشهرة وتنوم شعبًا يعاني من تعاقب الانكسارات والانتكاسات، كما هو الأمر مع تنفيذه لمشروع تأميم قناة السويس[46].

كل هذا بحسب بدوي لم يجن إلا على مصر من خلال العدوان الثلاثي، العدوان الحافل بحسب بدوي بمخازي القوات المسلحة المصرية، بالرغم ممّا ساقته وسائل الاعلام من صور معاكسة لما يجري على الأرض، فالإذاعة المصرية التي كانت تضج حد السكر بأناشيد "الله أكبر فوق رأس المعتدي"، في الوقت نفسه الذي أمست فيه مطارات مصر مدمرة عن آخرها، وضباط الجيش المصري ينقسمون إلى أشلاء مع بعضهم، في حين فضل بعضهم الآخر الهرب مجردين من ملابسهم بأقدام حافية[47]، وغيرها من الانتقادات التي يمعن فيها بدوي قصدًا في استهداف عبد الناصر وسياسته وثورة الضباط الأحرار التي أدت بسياسة تأميم الأراضي

[44]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 48
[45]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 48
[46]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 238
[47]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 244-245

الزراعية إلى تدمير أسرة بدوي الغنية قبل الثورة والفقيرة بعدها، الشيء الذي يذكرنا بعائلة مفكر عربي آخر هو عبد الله العروي.

ويخصص بدوي في سيرته فصلاً كاملاً يستهدف فيه ثورة الضباط الأحرار، سماه السنة الكبرى (1952)، وهي سنة الانقلاب العسكري عل الملكية في مصر، والتي صادفت وجوده في فرنسا، فيعتبر هذه السنة فاصلةً بين عهد وعهد، بين فترة كانت الحرية نعمة ينعم الكل بظلالها الوارفة، ويطالب فيها المرء دومًا بالمزيد، وإذا بها في فترة جمال عبد الناصر والعهد الجديد تصير حكرًا لفرد تحيط به عصابة[48]، وبالرغم من كل ذلك فبدوي لم يجد على الرغم من موقفه من الانقلاب حرجًا في تحمل مسؤولية صياغة أول دستور للانقلاب الناصري، حيث كان عضوًا في لجنة الحقوق والواجبات، ولجنة الشؤون الانتخابية[49]، معترفًا أنّ قصده من كثير من كتبه كان تحت رغبة جموح هدفها الأول هو مقاومة المد اليساري الذي فرضه جمال عبد الناصر، فكتابه عن "المثالية الألمانية" إنّما يريد منه مقاومة المادية التاريخية بأمضى سلاح لمقاومتها، وهو مثالية فختة وهيجل وشلنج[50]، وفي كتابه "دراسات في الفلسفة الوجودية"، يستهدف تبسيط الوجودية حتى يفهمها عامة الناس مؤكدًا معنيين رئيسين هما: الحرية والفردية، وهما المعنيان اللذان تحاربهما الإيديولوجية الماركسية أشد محاربة[51]، وغيرها من المؤلفات التي كان مقصدها إنّما هو تدمير الإيمان بالماركسية حلاً سياسيًّا واجتماعيًّا للشعب المصري.

ويظهر موقف بدوي جليًّا وقويًّا من نظام جمال عبد الناصر من خلال مسارعته إلى قبول دعوة جامعة السوربون له ليحاضر فيها، فيقول مودعًا مصره التي يحكمها عبد الناصر "وداعًا أيها الوطن المكبل بالقيود، الحافل بالجواسيس والمخبرين"[52]، واصفًا مشاعره عند خروجه من مصر بقوله: "كم كانت فرحتي عظيمة حين سمح لي بالخروج من هذا السجن الكبير"[53]، ليغدو الوطن عنده مساحة كبيرة للحزن والندم والخوف وأتون عذابات متواصلة ومعارك مستمرة يجب أخذ طريق بعيدًا عنها، للبحث عن وطن لا يتعس ولا يشقى فيه، وإنّما في الحقيقة يتناسى المصيبة التي حلت بأسرته الغنية مع سياسة الإصلاح الزراعي الناصرية وما نتج

[48]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 323
[49]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 338
[50]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 354
[51]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 1، ص 354
[52]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 5
[53]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 7

عنها من مواقف المقت والازدراء من النظام المصري الذي لا يستحق في سياساته ومواقفه الكبرى إلا السخرية والهزء الطويل المعبرين عن تمرده وشراسته وحساسيته الكبيرة التي لا تدعه يركن إلى الصمت.

إلى هنا ويعتبر بدوي أنّ هزيمة 1967 عرّت بطولة جمال عبد الناصر المزعومة وسط العرب، وأنّه لا يعدو أن يكون سوى رجل خطابات لا غير، فيعتبر حادث استقالته مساء يوم 9 يونيو مجرد مسرحية من أحقر المهازل وأخسها، سرعان ما انطلت على السذج من العامة والغوغاء من الناس، الذين فقدوا عقولهم تمامًا بسبب الهزيمة النكراء، وراحت حناجرهم الكاذبة تطالب بعودة القائد الذي مني بأبشع هزيمة في تاريخ مصر كلها، فيصف تبريرات هزيمته بالممعنة في التضليل الوقح الكالح الوجه[54]، ولا ينسى بدوي كيل السُباب الشَّاتِم والشَّامِت في حق أتباع جمال عبد الناصر من كونهم كومة من المتملقين أذناب الاستعمار، وأنّهم أصحاب نفوس خبيثة ودنيئة، ويصف سياسة زعيمهم الملهم بالدونكيخوتية، ومؤتمراته بالدنيئة التي تسعى إلى فرقة العرب والتربص بهم أكثر مما تسعى إلى لملمة شملهم[55]، ويصف سنوات حكمه بأنّها أعوام من الظلم والقهر والاستبداد الكافية لإرهاق روح شعب، وجعله أعمى لا يبصر شيئًا، وأبله لا يدري ما ينبغي عليه أن يعمل وأن يفعل.

ويبلغ ببدوي عداؤه لجمال عبد الناصر حد أنّه يعنون أحد فصول سيرته أيضًا بعنوان يختزل مدى معارضته ومقته التاريخي لجمال عبد الناصر بقوله: "وانزاح الكابوس"، حيث سيتكلم على موت جمال عبد الناصر، إذ بموته ستكتمل ثماني عشرة سنة من اضطهاد المصريين ومعاملتهم بأسوأ صنوف العذاب والابتلاء بأبشع الإهانات، والتعرض لشر أنواع الهزائم[56]، ويصف جنازته الضخمة بأنّها ليست دليلاً على حب الشعب المصري للميت، وإنّما هي شيء عادي جدًّا في تاريخ شعب مولع بالسير في الجنازات منذ فجر التاريخ، شعب يتفنن في صياغة طقوس الحداد على الموتى[57]، لهذا فجنازته لا تعدو أن تكون عنده مجرد تجمهر شعبي كسائر أنواع التجمهر التي يراد بها التنفيس والتنويع من رتابة الحياة، وفرصة لمشاهدة الكبراء من باب حب الاستطلاع الزائف فقط، وليس لها أي علاقة بتقدير الفقيد. وبعد جمال يتحول بدوي بالنقد إلى أنور السادات ولو بطريقة أقل جرأة فيعتبره هو الآخر مجرد أداة سلبية مطواعة بيد عبد الناصر قبله[58].

[54]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 61
[55]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج2، ص 62
[56]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 237
[57]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 238
[58]- ينظر عبد الرحمن بدوي، م ن، ج 2، ص 240

على سبيل الختم:

بعد عمر ناهز الثمانين ربيعًا، وقبل أن يحصل على جائزة نوبل التي رشحته لها وزارة الثقافة المصرية، وذات صباح من 18 ديسمبر 2002 سقط عبد الرحمن بدوي مغمى عليه من التعب والإنهاك الشديدين في أحد الشوارع الفرنسية، وحينما استفاق بعد يومين أرسل المستشفى خطابًا إلى قنصل مصر يقول: "إنّ لدينا شخصًا يقول إنّه فيلسوف مصر(...) فتعالوا إليه". وكانت استجابته للعلاج ضئيلة للغاية بسبب اكتئابه الشديد الذي كان يعانيه في صمت ووحدة بعيدًا عن بلده وأصحابه المعدودين أو بالأحرى المعدومين، ونقل إلى مصر، حيث أسلم الروح للحكيم، ليستقر وسط تخوم الخالدة أسماؤهم بيننا، وليلتحق بالرفيق الأعلى لينال أجره الكبير عن عمله المتقن والكبير، ولينال التقدير الذي يستحق.

انسحب فيلسوفنا بعد ردح طويل من البحث تاركًا خلفه مكتبته الضخمة الجديرة بتضحياته لأجل أن يكون ينبوعًا فياضًا في وجهنا، وهي المكونة من أكثر من مئة وخمسين كتاباً في حقول مختلفة في الشعر والرواية والمسرح والفلسفة وعلم الكلام والتصوف إمّا ترجمةً أو تحقيقًا أو إبداعًا، بمعدل كتاب في أربعة أشهر مقسمة على سنوات عمره وتأليفه، لتشكل إنتاجاته في ضخامتها وموسوعيتها قائمة لأعمال مركز بحثي أكاديمي كبير مُحْكَمٍ ومُحَكَّم، ليجد له في كل الوطن العربي طلبة وباحثين كثرًا يعترفون له بالأبوة المعرفية في الوقت الذي لم يجد فيه أبناء يعترفون له بالأبوة البيولوجية، لانشغاله بالفكر وبإعادة ترتيب مكتبة التراث العربي الإسلامي وإعمارها عن كل متع الحياة، ولانعزاله النفسي عن الهم بتعبير هايدغير، الانعزال الذي قد يكون مرضيًّا من جهة بدوي، لكنّه المرض الانطوائي الذي أعاد للتراث هيبته وأرجع له قيمته، ووضع الفكر العربي المعاصر أمام مذاهب فلسفية وأعمال أدبية بالغة الجدة وبالغة الروعة والجمال في محاولة شخصية منه لوضعنا في السياق الكوني الذي انتبه بدوي أنّنا تأخرنا عنه، أو لربما انزحنا عنه إلى صحراء جدباء هي أعظم المتاهات كما في قصة المتاهة لخورخي لويس بورخيس، والتي يشكل بقاؤنا فيها موتًا محققًا لنا، موتًا بالجوع والعطش الفكريين.

مصادر ومراجع البحث:

1- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، رسائل فلسفية، تحقيق بول كراوس، بيروت، 1936

2- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965

3- ابن رشد، الضروري في السياسة، ترجمة أحمد شحلان، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 1997

4- أبوحيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، ج 1

5- فريدريك نيتشه، غسق الأوثان أو كيف نتعاطى الفلسفة قرعًا بالطرقة، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2010

6- فريدريك نيتشه، هذا هو الإنسان، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، الطبعة الثانية، 2006

7- عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2000، ج 1 و ج 2

8- عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1986

9- عبد الرحمن بدوي، هموم الشباب، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت، 1977

10- عبد السلام بنعبد العالي، لعقلانية ساخرة، دار توبقال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2004

11- عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2003

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com